السميع

من أسماء الله الحُسنى السميع ، وقد ورد في الحديث الشريف أنّ السميع اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، والله سبحانه وتعالى سميع ، أي : متّصف بالسمع لجميع الموجودات .

الله عز وجل سميع لكل الموجودات ، كل ما سواه يسمعه ، دون حاسة كبني البشر ، دون آلة كبني البشر ، هناك آلة تلتقط الأصوات عند المخلوقات ، أو هناك حاسة لديهم تسمع الأصوات ، لكن الله جل جلاله ، ليس كمثله شيء ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ، سميع من دون حاسة أو آلة ، سميع لمن ؟ لكل الموجودات على الإطلاق .

يقول بعض العلماء : « **الله جل جلاله سميع ؛ أي لا يعزُب عن إدراكه مسموع وإن خفي** » ، قد يكون صوتاً في النفس ، قد يكون حديث النفس للنفس ، قد يكون خاطرة تَرِدُ على الخاطر ، قد يكون تسؤالاً يرد على الفكر ، تسؤالاً ، خاطراً ، أي شيء يخفى على الناس لا يخفى على الله ، فالله سبحانه وتعالى سميع لا يعزُب عن إدراكه مسموع وإن خفي ، فهو السميع بغير جارحة لذلك وسع سمعه كل شيء .

بالمناسبة ؛ ربنا عز وجل حينما كان ينعى على المشركين أنهم يعبدون من دون الله أصناماً ، كان يقول لهم :

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

المعنى المخالف ؛ أنه من لوازم الإله الذي يجب أن تعبده أن يسمعك ، من دون واسطة ، أحياناً أنت تتكل على شخص مهم ، إذا ناديته أجابك ، إن سألته أعطاك ، لك عنده مكانة كبيرة ، لكنك أنت في بلدة وهو في بلدة ، قال لك هذا رقم هاتفي ، لو أن هذا الهاتف معطل ما استفدت شيئاً ، تناديه فلا يسمعك ، هو يحتاج إلى آلة ليسمعك بها ، إذاً هو محدود بالنسبة لك ، الإله الذي ينبغي أن تعبده ، يسمعك بلا آلة ولا حاسة ، يسمعك وأنت في أي مكان وفي آية حالة ، يسمعك إن جهرت وإن أسررت :

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : ٣] .

حدثني أخ أنهى خدمته الإلزامية ، وهو لا يملك درهماً واحداً ، بحث عن عمل فلم يجد ، أعطته أخته قطعة حُلِيّ لها ، فباعها واشترى بثمنها بطاقة طائرة ، إلى بعض دول الخليج ، وسافر إلى هناك ، أقسم لي أنه وهو في الطائرة ، حدث نفسه حديثاً نفسياً ، قال في نفسه : والله لئن أكرمني الله بهذه السفرة لأبنينَّ لله مسجداً ، أقسم بالله هذا الخاطر ما ذكره بلسانه . . أخذ الله بيده وعاد إلى بلده ، وبنى مسجداً ، وصليت أنا في هذا المسجد ، قال : هذا المسجد استجابة لنداء خفي ما ذكرته بلساني : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ .

أنت بإمكانك أن تنادي ربك ، وأنت ساكت ، وشفتاك

ملتصقتان ، ولا أحد يعلم بهذا النداء ، هذا الإله الذي يجب أن تعبده ، خواطرك مكشوفة ، دعاؤك مسموع ، طلبك ملبَّى ، استغفارك مجاب ، توبتك مقبولة .

سيدنا يونس أين نادى ربه ؟ في بطن الحوت ، والحوت في عمق البحر وفي ظلمة الليل :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ـ ٨٨] .

يسمعك ، وأنت في بيتك وأنت في عملك ، وأنت في طائرة ، وأنت على ظهر سفينة ، وأنت في أعماق الوادي ، وأنت في غابة وحولك وحوش كاسرة ، وأنت في أي وضع يسمعك ، إن نطقت وإن سكت ، إن ناجيته بخواطرك ، وإن ناجيته بلسانك هو سميع مجيب .

قال العلماء : هو السميع بغير جارحة ، وقيل وسع سمعه كل شيء ، هو الذي يسمع نداء المضطرين ، هو الذي يجيب دعاء المحتاجين :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

هو الذي يجيب دعاء المحتاجين :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْر** » . [صحيح مسلم] .

الله سميع ، سميع لك في كل أحوالك :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٣ـ٢٢٠] .

يراك ويسمعك ويعلم ما في نفسك .

إذا تكلمت يسمعك ، إن تحركت يراك ، يراك حين تقوم ، إن نطقت أو سكت يعلم ما في نفسك ، سميع بصير عليم ، لا تحتاج إلى طلب ترفعه إليه ، ولا إلى يمين ، ولا إلى وثيقة ، ولا إلى شاهد .

إذا كنت في كل حال معي فعن حمل زادي أنا في غنى

شخص ذكر لي أنه كان يحضّر دكتوراه في بلد غربي ، وأستاذه صعب جداً ، واختار موضوعاً عويصاً ، وأمضى فيه أربع سنوات ، ثم وصل البحث إلى طريق مسدود ، فإن لم يفلح في متابعة البحث ، وكان بحثاً في الرياضيات ، في الفضاء الخارجي ، فإن لم يصل هذا البحث إلى معادلة متوازنة فالموضوع كله مرفوض ، ومضى له به أربع سنوات ، قال لي : ضاقت نفسي في الإقامة بهذا البلد ، وحينما تصورت أني سأعيد أربعة سنوات أخرى كبرُ الأمر عليّ . فجأة خرَّ لله ساجداً ، وقال : يا رب ، إن كنت تعلم أنني حضرت إلى هذه البلاد لأكتسب علماً أنفع به المسلمين وقد حرَمْتُ نفسي كل المنهيات ، ما من بيت في هذه البلاد ويخلو من هذه المُلهيات ، حَرَمْتُ نفسي هذه الملهيات استحياء من وجهك الكريم إن كنت عملتُ هذا العمل

خالصاً لك فيسر لي هذا البحث ، وهو إنسان صادق فيما أعلم .

فالله عز وجل ألهمه طريقة جديدة في حل هذه المعادلة ، بعد حين وصل بها إلى التوازن المطلوب ، على حين كان بين الطلاب في مكتبة الجامعة ، قال : فلم أملك نفسي إلا أن خررت على الأرض ساجداً شاكراً لله عز وجل ، وبذا حصَّل الدكتوراه ، والآن هو أستاذ في الجامعة عندنا .

إلهٌ يقول لك : أُدعُني أستجب لك فأنا أسمعك ، أنت حينما تصلي ألا تقول سمع الله لمن حمده ، يعني يا عبدي أنا أسمعك ، فإذا قلت له : ربنا لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، وهو يسمعك ، الإله الذي ينبغي أن تعبده ينبغي أن يسمعك ، لأنه أمَرَك أن تعبده ، والعبادة دعاء ، والدليل :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] .

يعني الدعاء عبادة .

إذاً هو الذي يسمع نداء المضطرين ، يجيب دعاء المحتاجين ، يعين الملهوفين ، يسمع حمد الحامدين ، يسمع دعاء الداعين ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، يسمع خطرات القلوب ، يسمع هواجس النفوس ، يسمع مناجاة الضمائر .

الآن هناك نقطة دقيقة في الدرس حول اسم السميع ، إنك كإنسان إن خاطبك واحدٌ وخاطبك آخر تقول له انتظر أنا إنسان واحد . لكن خالق السموات والأرض لو أن خمسة آلاف مليون إنسان الآن دعوه معاً لسمع دعاء كل واحد منهم .

قال العلماء : « **لا تمنعه إجابة دعاء شخص عن إجابة دعاء شخص آخر ، لا يشغله سماع مخلوق عن سماع مخلوق آخر** » .

يا من لا يشغله شأن عن شأن! ولا سمع عن سمع! ولا تشتبه عليه الأصوات يا من لا تغلطه المسائل! ولا تختلف عليه اللغات! يا من لا يبرمه إلحاح الملحين! ولا تضجره مسألة السائلين ، أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك .

نحن إمكانيتنا محدودة ، حتى إذا تصور رجل أنه هناك إنساناً يستطيع أن يفعل أشياء عديدة في وقت واحد فهذا وهم ، الإنسان في وقت واحد لا يستطيع إلا أن ينصرف إلى شيء واحد ، ولكن الذي يبدو للناس من أن فلاناً يستمع ويتصل ويأمر وينهى في آن واحد ، هذا عنده قدرة نادرة اسمها سرعة التنقل من جهة إلى جهة ، إنّ الإنسان في وقت واحد لا يستطيع أن يستمع إلا إلى شيء واحد ، إلا أن الله سبحانه وتعالى لا يشغله سماع دعاء عن دعاء ، ولا إجابة دعاء عن دعاء ، ولو أن الخلق كلهم توجهوا إليه ، يسمعهم جميعاً ويتوجه إليهم جميعاً ، لكن الإنسان يتوهم أنه إذا ناجى ربه فربه لا يستمع إلا إليه ، هذا خطأ لا يشغله دعاء عن دعاء ولا سماع دعاء عن دعاء ولا استجابة لعبد عن عبد .

يسمع كل نجوى ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . خائنة الأعين ، كيف ؟ أوضح مثل : طبيب بإمكانه أن ينظر إلى جسد المرأة لعلة العلاج ، فلو شطحت عينه إلى مكان آخر ولا يستطيع أحد في الأرض أن يكشف هذه المخالفة لكن الله وحده يكشفها ، أنت جالس في غرفة

النوم وفي غرفة مظلمة خرجت جارتك إلى الشرفة ، من يستطيع أن يعرف أنك تنظر إليها أو لا تنظر ؟ هي لا تراك أساساً ، أنت في غرفة مظلمة وهي في الشرفة ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

أحياناً إنسان يُجري عقد نكاح في بلد غربي وفق الشريعة الإسلامية تماماً ، إيجابٌ ، وقبول ، ومهر وشاهدان ، وعند القاضي ، والأمر كله وفق قواعد الشرع ، لكن في نفسه أنه بعد أن ينهي دراسته يطلقها ، من يعلم ذلك ، هل يستطيع القاضي أن يكشف هذه الحقيقة ، ليس على نية التأبيد على نية التوقيت ، لكنّ الله يعلم خواطر الإنسان ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والإنسان حين يعرف أنه مكشوف أمام الله خواطره مكشوفة ، مناجاة ضميره مكشوفة ، نياته البعيدة مكشوفة ، خطراته مكشوفة ، عندئذ يستحي من الله ، لذلك هنيئاً لمن أضمر الخير لكل الخلق :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨ـ ٨٩] .

قال أحد العلماء عن اسم السميع : « **إن الله سبحانه وتعالى يسمع دعوات عباده ، ويسمع تضرعاتهم إليه ، ولا يشغله نداء عن نداء ، ولا يمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء ، وقيل السميع هو الذي يسمع دعوتك عند الاضطرار ، ويكشف محنتك عند الافتقار ، ويغفر زلتك عند الاستغفار ، ويقبل معذرتك عند الاعتذار** » .

واحد خرج من المسجد ، أناس يجمعون مالاً لبناء مسجد آخر ، قال لي : والله معي مبلغ محدود لا أملك غيره ، مئتا ليرة ، هممت أن أضعه ثم قلت لا لا أملك غيره ، لعلني أحتاج إليه قال لي : وقع في نفسي خطاب من الله : يعني يا عبدي حينما كنت تنفق هل قطعناك

من المال ؟ قال : فاستحييت وألقيت المئتين في مكان التبرع ، ثمّ قال : والله ما مضى ساعة أو ساعات إلا وجاءني مبلغ لم يكن يخطر على بالي إطلاقاً ، هو لما امتنع شعر أن الله علم بامتناعه ، شعر أن هذه الخاطرة (أنا لا أملك غير هذا المبلغ فكيف أنفقه) أنها من وسوسة النفس الأمارة بالسوء فخالفها .

بالمناسبة كي لا تعدُّوها حكماً شرعياً . الإنسان ليس مكلفاً أن ينفق كل ما يملك ، كثيراً ما قد يواجهنا حكم شرعي كما نواجهنا مواقف شخصية ، وهناك نقطة دقيقة الدلالة جداً من الله عز وجل إذ قال : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة : ١٩٥] .

قال المفسرون : لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فالتهلكة إن أنفقتم كل أموالكم ، وكذلك لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فالتهلكة إن لم تنفقوا ، فأنت هالِكٌ مرتين ، هالكٌ إن أنفقت المال كله وهالِكٌ إن لم تنفق شيئاً ، لكن هناك حالات خاصة ليست حكماً شرعياً إنما هي مواقف شخصية .

الإنسان قد يتعامل مع الله بطريق المؤاثرة ، بطريقة البذل بطريقة التضحية ، والله عز وجل لا يخيب رجاءه ولا يمنع عنه عطاءه ، فإذا ذكرت هذه الواقعة لا لأدعوكم إلى أن تنفقوا كل أموالكم لا . . . لكن الإنسان قد يواجه موقفاً حرجاً يضطره إلى أن ينفق ، وهو لا يملك إلا مبلغاً محدوداً ، فإذا أنفقه ليحل مشكلة أخيه ، مشكلة عويصة قد تكون ، فإزاء هذه الحالات الاستثنائية ، الله عز وجل يهيىء تعويضاً جزيلاً لهذا الذي آثر أخاه ، لأن الله عز وجل قال :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

السميع هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار ، وكشف محنتك عند الافتقار ، وغفر زلتك عند الاستغفار ، وقبل معذرتك عند الاعتذار ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار .

وقيل : السميع هو الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويُقيل العثرات .

السميع صفة لله عز وجل ، يكشف بها كمال موصوفاته ، الله عز وجل كامل كمالاً مطلقاً ، إذا وُجِد شخص أمامك ، محترم ، ذو شخصية جذابة ، وسيم الوجه ، جميل الصورة ، طليق اللسان ، كلما تحدثت معه قال : بالله ما سمعت ؛ ارفع صوتك . . لقد ضَعُف سمعه أليس نقصاً في كماله ؟

الله جل جلاله من لوازم كمال صفاته أنه سميع ، لذلك نكشف بسمعه تعالى كمال صفاته ، هذه الصفة تكشف حقائق المسموعات ، كل شيء يُسمع الله جل جلاله يسمعه ، وتنكشف له المسموعات انكشافاً تاماً ليس بأذن ولا جارحة ، الله عز وجل نكشف نحن بصفة سماعه كمال ذاته ، ويكشف الله بسمعه حالات كل مخلوقاته .

مثلاً : مدير مدرسة ، جالس في مكتبه بالإدارة ، عنده ثلاثون شعبة وثلاثون مدرّساً ، هل بإمكانه أن يستمع إلى كل مدرس ؟ ماذا يقول في لحظة واحدة ؟ أحياناً يخرج من مكتبه ويدخل إلى أحد الصفوف ، إذا دخل يسمع ما يقوله هذا المدرس فقط .

لكن لو افترضنا مثلاً ، أن مديراً وضع لَوَاقِطَ بكُلِّ شُعبة ، بحيث إنه إذا أراد أن يستمع إلى ما يقوله فلان في هذه الشعبة ، ضغط مفتاحاً يخرج صوت المدرس ، نقول : إن هذا المدير معلوماته أدق ومسيطر سيطرة جيدة على المدرسة ، لكن المدير نفسه لو استمع إلى شعبة وضغط مفتاحاً آخر يضيع ، هناك مسجلات فيها جهاز مضاعف ، هل تستطيع أن تضع في كل جهاز شريطاً وتستمع إلى الاثنين ، لا تستطيع ، إن استمعت إلى هذا شوش عليك هذا ، وإن استمعت إلى هذا شوش عليك هذا ، الله عز وجل يسمع جميع خلقه في وقت واحد ، هذا من كمال صفاته .

العلماء قالوا : « **إن صفة السميع زائدة على العلم** » ، كيف ؟ يعني من باب التوضيح فقط ، ممكن أن تستمع إلى دقات قلب مريض ، فإذا سمعت هذه الدقات علمت مقدارها وقوتها وشدتها ، فأنت الآن تعلم حقيقة قلب هذا المريض ، فالعلم واضح .

فلو أن هذا المريض له لغة غير عربية ، وتكلم عن قلبه ، وسمعت ما قال ، سماعك لهذه اللغة غير علمك عن وضع قلبه ، لو أن المريض حدثك بلغته عن قلبه ، فإن لم تكن أنت سميعاً ، عِلْمك شيء وسماعك لما قاله عن قلبه شيء آخر ، فلذلك العلماء قالوا : « **صفة السميع صفة زائدة على العلم** » ، الله عز وجل عليم وسميع وبصير .

الله مُطَّلع علَى قلب كل مخلوق ، ولو أن هذا المخلوق دعا الله بلغة غريبة ، إضافة إلى أن الله يعلم ما في قلبه ، يسمع قوله في أي لغة .

إذا سافر إنسان إلى بلد يجهل لغة أهلها ، تراه ضائعاً لا يفهم شيئاً الصحف بهذه اللغة الغريبة بالنسبة له ، المجلات بهذه اللغة ، الإذاعة بهذه اللغة ، كلام الناس بهذه اللغة ، المطعم بهذه اللغة ، وهو لا يفقه شيئاً ، فالإنسان إذا لم يسمع أو لم يفهم ما سمع ، يضعف مركزه فمن كمال صفات الله أنه سميع ، وسمعه زائد على علمه ، علمه شيء وسمعه شيء آخر .

يعني إن الله عز وجل يدرك كل مسموع وإن خفي صوته ، فهو سبحانه وتعالى يسمع سواء أكان السمع من قبيل الأصوات أو من قبيل الألوان ، كيف نفهمها هذه ؟

الإنسان يسمع الأصوات فقط ، فإذا لم يكن صوت لا يكون سمع ، الأذن تلتقط الموجات الصوتية ، هذه الموجات تصيب غشاء الطبل بالاهتزاز ، هذا الاهتزاز ينتقل إلى الأذن الداخلية فيسمع الإنسان ثم يُدرك ما سمع ، أما لو أن الذي أمامك بقي ساكتاً هل تسمع ؟ هو واقف أمامك وهو ساكت لكن يقول في نفسه والله إني أحب فلاناً ، هذا خاطر ، الإله يسمع المسموعات ذوات الأصوات ، كما يسمع ما خفي ومالا صوت له .

أحد العلماء ، يرى أن الله يسمع ، لكن سمعه مُنزّه عن تغيير يعتريه عند حدوث المسموعات ، غشاء الطبل ساكن فإذا سمع الإنسان صوتاً قوياً هذا الغشاء يهتز ، ولولا هذا الاهتزاز لما سمع الصوت نقول لقد أصاب هذا الغشاء تغيير اعتراه حتى نقل الصوت ، قال : الله جل جلاله مُنزّه عن هذا ، يعني لا يسمع بتغيير يصيب سمعه ، هذا شيء مستحيل أن يليق بالله عز وجل .

والله سبحانه وتعالى مُقدّس عن أن يسمع بأذن أو آلة أو أداة والسمع في حقه جل جلاله عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات . الله عز وجل يكشف بسمعه أحوال خلقه جميعاً ، من دون آلة ولا جارحة ولا اهتزاز ولا تغير يعتري سمع الله عز وجل .

لذلك السميع برأي بعض الأئمة هو صاحب الانكشاف والتجلّي ، الإنسان يضمر شيئاً ، والله سميع : يكشف حال هذا المخلوق وما في ضميره .

السمع أحياناً له معانٍ أخرى ، أحد العلماء قال ؛ للسمع أربعة معان في حق الله عز وجل :

الأول : سمع الإدراك ويتعلق بالأصوات ، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] .

خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها : أنت علي كظهر أمي ، ثم ندم على ما قال ، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية ، فقال لها : ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت : والله ما ذاك طلاق ، وأتت رسول الله ﷺ ـ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه ـ فقالت : يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني ، وأنا شابة غنية ذات مال وأهل ، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم ، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به ؟ فقال رسول الله ﷺ : حرمت عليه فقال : يا رسول الله والذي

أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال رسول الله ﷺ : حرمت عليه فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله ﷺ : ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ : حرمت عليه هتفت وقالت : أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي ، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم! إني أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك ، وكان هذا أول ظهار في الإسلام ، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت : انظر في أمري جعلني الله فداءك! يا نبي الله! فقالت عائشة : أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ ؟ـ وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات ـ فلما قضى الوحي قال لها : ادعي زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ﴾ الآيات .

قالت عائشة : تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه إذ أنزل الله : ﴿قد سمع الله﴾ الآيات . هذا أول معنى من معان السماع ، سماع الإدراك .

المعنى الثاني : سماع الفهم « **اسمع ما أقول** » في التعبير الدارج يعني افهم ، يؤكده قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال : ٢١] .

السماع هنا معناه الإدراك ، التفهم ، الله عز وجل يعرف وضعك

في أدق التفاصيل ، يعرف ظروفك الصعبة ، يعرف العقبات التي أمامك يعرف الصوارف التي تصرفك عن هذا الشيء ، يعرف حجم التضحية سمع دعاءك يا رب! أنا مضطر ، يا رب! استجب لي هذا كلام ، لكن حجم اضطرارك يعرفه الله عز وجل ، فالله عز وجل إضافة إلى أنه يسمع دعاءك كصوت يعلم حقيقة حالك ، فأول سماع سماع الصوت ، السماع الثاني سماع الفهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

يعني : افهموا .

إذا قال رجل للآخر : انتبه ، على كتفك عقرب بصوت واضح وفي نبرات حادة ورفع الصوت فالتفت إليه بهدوء وقال له : أنا أشكرك على هذه الملاحظة وتلك النصيحة وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمني أن أكافئك ، ولم يبادر إلى رميه ، أيكون سمع ما قيل له ؟.. هذا سمع ولم يسمع ، سمع صوتاً لكن لم يفقه ما معنى عقرب ، لو فهم لقفز ولصرخ ، ما دام بقي هادئاً ، والتفت بهدوء وشكرك فالمعنى أنّه لم يسمع بمعنى أنه لم يفهم ، الصوت وصل إليه ، فهناك سماع صوت وهناك سماع فهم : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ، أي : لم يفهموا .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] .

المعنى الثالث : سَمْع الإجابة وإعطاء ما سئل ، كما تدعو : اللهم! اسمع ، يعني أجب وأعط ما سألتك .

المعنى الرابع : القبول والانقياد ، قال تعالى :

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢] .

إذا قال رجلٌ لك : فلان أمانته ضعيفة ، أمعقول ؟ . . طبعاً معقول . . فيقول إذاً لن أُعطيه شيئاً ، أنت سمعته وصدقته ، أحياناً تقول هذا الكلام غير مسموع لا أقبله ، معنى سماعون للكذب منقادون إليه مصدقون له .

فصار أول معنى سمَاع الصوت ، المعنى الثاني الفهم والإدراك ، المعنى الثالث الاستجابة ، المعنى الرابع الانقياد ، كل هذه المعاني وردت في كتاب الله عز وجل فيما يتعلق بالسمع .

ومما يؤكد معنى أن السمع هو الاستجابة قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور :

عن عبد الله بن عمرو قال : كان رسول الله ﷺ يقول :

« **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاءِ الأَرْبَعِ** » . [سنن الترمذي] .

يعني لا يُستجاب له .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَت : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُهَا فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ الآيَةَ . [رواه البخاري] .

عندما قال النبي ﷺ في الطائف بعد أن دعاهم فكذبوه ، بعد أن استعانهم فخذلوه بعد أن استنصرهم فلم ينصروه ، بل أغروا به

صبيانهم ، وضربوه بالحجارة ، فدميت قدماه ، رفع يديه إلى السماء ، قال يا رب :

« **اللهم! إليك أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . . . أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملّكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي** » هذا هو دعاء الطائف .

في الإسراء ، قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] .

بحسب السياق ، يتوهم الإنسان ما دام معجزة انتقالاً مفاجئاً من مكة إلى بيت المقدس ، السياق يقتضي أن يقول الله عز وجل ، إن الله على كل شيء قدير ، قال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ يعني هذا الإسراء وذاك المعراج مكافأة لك وتكريماً لك ، وتكريم السماء تعويض عن جفوة الأرض ، لأن الله سمع دعاءك في الطائف ، وجاء قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

أحياناً الإنسان يدعو الله عز وجل : « **يا رب إني ضعيف ، إني مغلوب فانتصر** » ، وبعد أن تمضي سنة ينصره الله ، فكأن هذا النصر هو جواب الدعاء ، فالإنسان يستخدم الدعاء .

هناك نقطة مهمة ، يجب أن توقن بفاعليّة الدعاء ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، والدعاء مقبول والطلب معقول والهدف الآخرة أو السلامة من الفتن في الدنيا ، فكل إنسان دعا الله عز وجل يسمعه ويستجيب له .

اسم السميع ورد في كتاب الله في أربعين آية أذكر بعضها :

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام : ١٣] .

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الأعراف : ٢٠٠]

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الأنفال : ٤٢]

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج : ٦١] .

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٢١] .

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[لقمان: ٢٨].

سميع ، معكم أينما كنتم وأسمعكم ؛ في بيتك ، وفي أحرج

الظروف ، وفي أدق المواقف ، وفي أحلك الليالي ، وفي السماء ، وفي الأرض ، بالطائرة تصعد في أطباق الفضاء ، وفي الغواصة ، تغوص في أعماق البحر ، في بيتك في بستانك في عملك .

سمعت طبيباً جراحاً مشهوراً ، أنه لا يُجري عملية جراحية إلا إذا توضأ وصلى ركعتين لله عز وجل وفي السجود يسأله التوفيق ، والله سمعت عن هذا الطبيب نجاحات يصعب أن نصدقها ، يجري جراحات عصبية في الدماغ ، بالدماغ بنسبة واحد بالألف بالميلمتر تودي بالمريض أو تشلّه ، وهي طبعاً جراحة مكبرة تحت المجهر ، فهذا الطبيب لا يجري عملية إلا إذا صلى ركعتين وفي السجود يسأل الله التوفيق والنتائج رائعة .

هكذا يجب أن يكون المؤمن ، في كل أعماله ، إذا عقد صفقة ، قبل أن تشتري هذه الصفقة ، قبل أن تُقدم على هذا العمل ، قبل أن تلقي هذا الدرس ، قبل أن تعقد هذا العقد قبل أن تتكلم . قُلْ : توكلتُ على الله ، ادعُ الله ، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

وبعد ؛ دققوا في آداب المؤمن بالنسبة لهذا الاسم ، من علم أن الله يسمع كل شيء ، هل بإمكانه أن يلفظ كلمة نابية ؟

يقول شخص في وصف آخر : صاحبتهُ ثلاثين سنة ما سمعت منه كلمة نابية ، لم أسمع منه سقطاً أو عواراً ، ولا كلمة مرذولة إطلاقاً ، من أين جاء هذا الانضباط باللسان ، من معرفة المؤمن أن الله يسمعه ، لذلك من أدب المؤمن مع الله في اسم السميع حفظ لسانه من الباطل فلا يتكلّم إلا بخير ، ومن عرف أن الله تعالى سميع كان من أدبه دوام المراقبة ، ومطالبة النفس بالمحاسبة ، ويجب على العبد أن

يعلم أن الله تعالى ، لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله أولاً .

أدب ثانٍ إنّ هذه الأذن ، إلى الآن طريقة عملها الدقيق مجهولة ، يعني اهتزاز وصل إلى طبلة الأذن ، نقل هذا الاهتزاز عبر عظيمات السمع إلى الأذن الوسطى ، ثم إلى الأذن الداخلية ، ثم نقل العصب السمعي هذا الأثر إلى الدماغ ففهمت الكلام المسموع .

شخص يحكي كلاماً هاماً ، نعم.. صح.. يسمع ، ينتقل الكلام إلى غشاء الطبل إلى الأذن الوسطى...إلى الدماغ ، إذا كان نغم رائع تطرب ، ضجيج تضجر ، فما النغم ؟ وما الضجيج ؟ معقول أن يكون عندك ذاكرة سمعية لأن تعرف بها أصوات الناس جميعاً فهذا عجب ، والدليل سماع الأصوات على الهاتف ، كلّما جاءتك مكالمة تعرف مَن المتكلم ، مِن أول كلمة ! فلان .

الإنسان نبرة صوته هوية ، لا يوجد إنسان في الأرض نبرة صوته كإنسان آخر ، أبداً ، قزحية العين ، ونبرة الصوت ورائحة الجلد وبلازما الدم ، والبَنان ، بصمة الإصبع ، هذه هوية الإنسان ، فأنت عندك ذاكرة ، يقال : إنّ بعض الحواسب تقرأ أربعمئة وخمسين مليون حرف ، هذا صنع الإنسان ، وأنت قد يكون في حياتك مئتا شخص تعرفهم ، أحياناً شخص بعيد عنك أكثر من عشرين سنة تسمع صوته فجأةً فتقول له : فلان.. معناها أنّك سمعته وعرفته ، وهذه الأذن التي تلفت نظر العلماء إلى دقتها ، لك أذنان من أجل أن تعرف جهة الصوت ، لك عينان من أجل أن تعرف البعد الثالث ، بعين واحدة بعد واحد ، في العينين ترى العمق ، يقول بعض العلماء :

« ينبغي للعبد أن يعلم أن الله تعالى لم يخلق له هذا السمع إلا

ليسمع كلام الله » ، الذي يجلب آلة طحن لحم أغلى نوع في العالم ثمنها آلاف ، هذه لطحن اللحم ، فلا يليق أن تستعملها لأشياء رخيصة أو مبتذلة ، كذلك الذي خلق الله له سمعاً لا يليق به أن يسمع الغناء والكلام البذيء والغيبة والنميمة والإفك والبهتان ، والكلام المنحط وذكر العورات ، لا بل هذه الأذن ينبغي أن تستمع إلى الحق وإلى كلام الله عز وجل .

عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري قال :

« ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف .

ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم ويروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة ، فيقولون : ارجع إلينا غداً ، فَيُبَيِّتُهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » .

وعن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع أبا مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال :

« لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا ، يضرب عَلَى رؤُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ وَالقينات ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ . وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة » .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ :

« إني لم أَنهَ عن البكاء ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين :

صوت عند نغمة لهو ، ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت عند مصيبة ؛ لطم وجوه وشق جيوب ، ورنة شيطان » .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده ، يأمره أن يربيهم على بغض (المعازف) :

« ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم : أن حضور المعازف واستماع الأغاني ، واللهج بها ، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء ، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه » .

الله عز وجل أعطاك سمعاً وأعطاك بصراً ، فأنت تصدق ـ من باب حسن الظن بالله ـ أن إنساناً له عين يغض بها عن محارم الله ، تنهمر منها دمعتان من خشية الله ، أفتظنّ أن هذا الإنسان يمكن أن يرث عينه أم أن ترثه عينه ؟ إن فهمك كفاية ، « **ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا** » [الترمذي عن ابن عمر] .

فالإنسان المؤمن ترثه عينه وأذنه وقوته وعقله ، يعني يستمتع بسمعه إلى آخر لحظة في حياته ، يستمع للحق ، هذا السمع يجب أن يكون للحق ، إذا كان في كلام باطل قال :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

إنّ المؤمن يقول لنفسه : قم . . فالمجلس فيه غيبة ، فيه كلام بذيء ، فيه كلام فارغ ، فيه لغو .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ إلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً » . [سنن أبي داود] .

ينبغي أن تستمع إلى الحق ، والعبد إذا تقرّب من ربه بالنوافل أحبه الله فأفاض على سمعه نوراً تنفذ به بصيرته .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » . [صحيح البخاري] .

صار في سمعه نور ، كيف ؟ يعني أنّ الباطل لا يسمعه ، وكلام يناقض القرآن لا يسمعه ، والكلام الفاحش والبذيء لا يسمعه ، الغيبة يرفضها ، صار في سمعه نور .

جاء في بعض الأدعية « إلهي أنت السميع لحركات القلوب وخطرات النفوس ، السميع لنداء المضطرين ، المغيث لجميع المحتاجين ، أشرِقْ على سمعي نوراً منك أسمع به تسبيح الكائنات في الأرض والسموات » .

« إني لأعرف حجراً بمكة ـ كما قال النبي ﷺ ـ كان يسلم عليّ قبل أن أبعث » [مسلم] عن جابر بن سمرة .

امنحني قوةً روحية أسمع بها عهدك ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إنك على كل شيء قدير .

اسم السميع من أدق الأسماء الإلهية ، وهو من أقرب الأسماء إليك لأنك كلما ناجيته يسمعك ويستجيب لك ، هذا اسم السميع ، وينبغي أن تعلم أنه ليس هناك معرفة في الأرض تعلو على أن تعرف الله في أسمائه الحُسنى ، ما من معرفة في الأرض أعظم وأجل وأدق وأخطر في حياتك من أن تعرف أسماء الله الحُسنى ، وهذا اسم السميع يؤدّبك ويعلّمك .

* * *